الفخر الصوفي في شعر الشيخ إسماعيل الولي
"ديوان جامع الشطحات أنموذجاً"

د. أبو هداية محمد إسماعيل
جامعة كردفان ـ كلية التربية

أ. د. الضو إبراهيم الضو أحمد
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – كلية اللغة العربية- الأبيض

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة موضوع "الفخر الصوفي" في الشعر السوداني، متخذة من ديوان (جامع الشطحات) للشيخ إسماعيل الولي أنموذجاً للتطبيق. تمثلت إشكالية البحث في تتبع ظاهرة الفخر الصوفي في شعر الشيخ، ومدى ورودها وكثافتها في ديوانه المذكور. وهدفت الدراسة إلى إبراز تجليات الفخر الصوفي، وتأصيل العلاقة بين المصطلح الأدبي (الفخر) والمفهوم الصوفي في تجربة الشاعر. اعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي في تحليل النصوص الشعرية، إلى جانب المنهج التاريخي للتعريف بحياة الشاعر ونشأة الطريقة الإسماعيلية. وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: 1. بروز النزعة الصوفية والفخر الصوفي بشكل جلي في ديوان الشاعر عبر كثافة استخدام الألفاظ والرموز الصوفية والضمائر الذاتية (مثل: أنا، نحن). 2. هيمنة الشطح الصوفي وتوظيف الغزل الرمزي (كرمزية ليلى للذات العلية) والتحدث بالنعم الإلهية على معظم مقطوعات الديوان. 3. اتسام شعر الشاعر بالسهولة والوضوح مع قلة الصور البيانية المباشرة؛ بغرض إيصال الرسالة الإرشادية والتعبدية بأيسر الطرق. وتوصي الدراسة بضرورة إجراء المزيد من البحوث الأكاديمية حول الآثار الشعريّة والنثرية الأخرى للشيخ إسماعيل الولي.

الكلمات المفتاحية: الفخر الصوفي، شعر الشطحات، إسماعيل الولي، الرمزية الصوفية، الشعر السوداني.

Abstract

This study examines the phenomenon of Sufi pride (self-glorification/mystical elation) in Sudanese poetry, taking the collection *Jami' Al-Shatahat* by Sheikh Ismail Al-Wali as an applied model .The primary research problem revolves around identifying the presence, manifestations, and frequency of Sufi pride within the poet's works .The study aims to highlight the themes of Sufi pride while bridging the literary concept of "pride) "*fakhr* (with mystical Sufi experiences .Methodologically, the researchers employed an inductive descriptive-analytical approach to examine the poetic texts, alongside a historical method to contextualize the poet's life and the establishment of the Ismaili Sufi Order . The study yielded several key findings: 1. Sufi pride and mystical inclination are acutely pronounced in the poet's works, characterized by an extensive use of specialized Sufi terminology and personal pronouns (such as "I" and "We") . 2. The collection is predominantly governed by Sufi ecstatic expressions) *shath* ,(symbolic love poetry (e.g., using "Laila" as a metaphor for the Divine Essence), and the articulation of divine blessings . 3. The poet's style is marked by simplicity, clarity, and a low reliance on complex figurative imagery, reflecting an intent to convey spiritual guidance directly and effortlessly .The study recommends further academic research into the remaining poetic and prose heritage of Sheikh Ismail Al-Wali .

Keywords: Sufi Pride, Ecstatic Poetry, Ismail Al-Wali, Sufi Symbolism, Sudanese Poetry.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين وبعد.

للطرق الصوفية في السودان دور لايخفى في تطور الشعر ونهضته في السودان إذ خرجت هذه الطرق عدداً من الشعراء أسهموا في الحركة الأدبية عامة والشعرية خاصة من خلال مانظموا من أشعار في المدح النبوي والتصوف والشطح الصوفي وغيرها، ومن هؤلاء الشعراء الشيخ إسماعيل الولي ويأتي ديوانه جامع الشطحات في مقدمة مانظم من شعر، ومن هنا جاءت إشكالية الدراسة متمثلة في دراسة الفخر الصوفي وما مدى ورودها في شعر الشيخ إسماعيل الولي من خلال ديوانه جامع الشطحات؟ وتمثلت أسئلتها في الآتي: ما الفخر الصوفي؟ هل ورد الفخر الصوفي في ديوان جامع الشطحات للشيخ إسماعيل الولي؟ وقد جاءت أهمية الدراسة في أنها تسلط الضوء على شيخ صوفي وتظهر الفخر الذي أورده في شعره، وربطها للمصطلح الأدبي (الفخر) بالمصطلح الديني (الصوفي). أما أسبابها تتمثل في اطلاع الباحثين على شعر الشيخ إسماعيل الولي، وملاحظتهما إكثاره من الفخر الصوفي في شعره.

تناول الباحثان في صدر الورقة حياة الشاعر من حيث ميلاده وتعليمه، وأبناؤه وتلاميذه ومريدوه ومؤلفاته، ثم الحديث عن الطريقة الإسماعلية، ثم في الجزء الثاني من الورقة كان الحديث عن النزعة الصوفية في ديوان (جامع الشطحات)، وأخيراً كانت خاتمة البحث وبها النتائج والتوصيات.

حياة الشاعر

نسبه:

الشيخ إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن الحاج بن الفقيه بشارة القرباوي بن الفقيه علي بن برس بن محمد بن كبش بن حنين بن الملك ناصر بن صلاح بن الملك موسى الملقب (بموسى الكبير) صلاح بن محمد بن

دهمش بن بدير بن سرة بن سرار جد الكل بن كردم بن أبي الديس بن بضاعة بن عبدالله بن حرقان بن أحمد بن الحجازي بن محمد اليمني بن إبراهيم الهامشي الشهير بجعل جد الجعليين الشهيربن سعيد بن السيد الفضل بن السيد عبدالله الحبر بن السيد العباس عم النبي (ﷺ) ابن عبد المطلب بن هاشم بن مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مركة ابن اليآس بن نزار بن معد بن عدنان[1].

مولده:

ولد الشيخ إسماعيل الولي بن عبدالله بمدينة الأبيض حاضرة ولاية شمال كردفان، وكان مولده عام (1207هـ - 1787م). حيث جاء والده من الشمالية من منطقة تسمى منصوركتي, واستقر في مدينة الأُبيض[2].

1-مذكرة موجزة عن الطريقة الإسماعيلية، محمّد عبد الرحمن المجمر ص1 .

2-المرجع نفسه: ص:1.

أبناؤه[1]:

للشيخ إسماعيل بن عبدالله عدد من الأبناء منهم: الشيخ محمّد المكي بن إسماعيل تولى الخلافة قبل وفاة والده بعامين فهو أديب بارع له عدد من المؤلفات. والسيد أحمد الأزهري: هو جد الرئيس الأول إسماعيل الأزهري. والسيد مصطفى البكري: المدفون بمقابر البكري بأُم درمان والتي سميتباسمه في الجانب الجنوبي من المقابر, له عدة مؤلفات في مدح الرسول (ص) منها: منحة الوهاب في مدح جناب النبي الآواب، حيث قال[2]:

يا رب صلي علي النبي محمّد والآل والأصحاب
قَدْ لاح برق من نواحي طيبة أضنى فؤادي ثم
وبها كفلت بحبه وغرامه حقا لقلبي كاد يزهق

ومن أقوال السيد مصطفى البكري في مدح الرسول (ﷺ)[3]:

الله رب كبير جل خالقنا هو الشفيع القادر الله
أنت الطيف الشكور أنت الرحيم فارحمني

تعليمه:

حفظ الشيخ إسماعيل بن عبدالله القرآن وهو دون الثامنة من عمره على يد والده، ودرس النحو والتفسير، ثم بدأ الشيخ بتعليم أبناء المسلمين القرآن وهو دون العشرين من عمره بمدينة الأُبيض ثم عمل على نشر الإسلام في جبال النوبة فهو أول من أسس خلوة بجبال النوبة[4]

تلاميذه[5]:

1– المرجع نفسه، ص1 .
2- منحة الوهاب في مدح جناب النبي الأواب، السيد مصطفى البكري بن إسماعيل، ص1
3-منحة الآواب في مدح جناب الأواب، السيد مصطفى البكري بن إسماعيل –ص 49 .
4– مذكرة عن الطريقة الإسماعيلية، محمّدبن عبدالرحمن المجمر –ص 1 .
5-المرجع السابق – ص 3-4 .

للشيخ إسماعيل الولي عدد من التلاميذ المخلصين الذين وصلوا على يديه أرفع المقامات منهم: الشيخ علي البليل، وهو من الفلاتة الفوطة وله تلاميذ ومريدون وهو مدفون بقبة (أمانة الله) ريفي أبي حراز ضواحي الأُبيض وقبره ظاهر يزار. والخليفة أحمد أبو زمام: كان يرى الرسول (ﷺ) في اليوم 313 مرة وقبره بالأُبيض قرب الشيخ إسماعيل الولي. والخليفة مساعد عبد الرازق: هو مدفون بمقابر البكري بأُم درمان. والخليفة أحمد القموس: هو مدفون بريفي ام عشير منطقة الشويحات. والخليفة آدم إسماعيل: هو مدفون بمنطقة أبي حراز. والخليفة سلطان الطريفي: هو مدفون بأبي قايدة ريفي بارا. والخليفة الناير المنبوش: هو مدفون غرب أم دكيكة ريفي أم روابة .

مريدوه[1]:

للشيخ إسماعيل بن عبدالله خلفاء ومريدون بمناطق كثيرة في السودان، حيث نجدهم في كردفان في كل من (بارا- أمروابة- أبوحراز– أم جمط). أيضًا له مريدون في جبال النوبة خاصة الدلنج وكادقلي وفي غرب كردفان في مدينة النهود، وفي غرب السودان في نيالاله خلفاء ومريدون في الخرطوم والقطينة والشمالية.

الطريقة الإسماعيلية:

تنسب هذه الطريقة إلى االشيخ إسماعيل بن عبد الله الملقب باالولي، وهي طريقة صوفية سودانية، ومؤسسها صاحب خلوة للقرآن مشتغلاً به ومتفرغاً له، وتلقى الفقه وأصوله على يد علماء عصره، حتى ذاع أمره في الأبيض، والتقى بأستاذه بعد ذلك السيد محمد عثمان الميرغني عندما جاء للسودان موفداً من قبل أستاذه أحمد بن إدرريس، ومبشراً بتعاليم الطرق الخمسة...[2]

1- مذكرة مؤجزة عن الطريقة الإسماعيلية – ص4-5 .

2- موسوعة أهل الذكر بالسودان، المجلس القومي للذكر والذاكرين، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، الطبعةالأولى،1425هـ/2004م، ص105-106

والطريقة تعد مهداً لنشر الدعوة وإذكاء للروح البشرية، فالمعروف أن (الوراثة للعلوم الإلهية تكون عن طريق الوهب الإلهي سواء من باب الوحي والعصمة، أو من باب الاكتساب فالأولى مرتبة الأنبياء – أما باب الحفظ والإلهام فهو مقام الأولياء)[1].

فباب الحفظ والإلهام مفتوح حتى الآن، ولمن أراد أن يسلك الطريق المبلغ لابد له من خبير عارف ليأخذ الذكر منه، لأنه قيل تعاطى الأذكار من غير شيخ مرشد تحصل معه نتائج سلبية، لذا نشأت الطرق الصوفية المعروفة. فالطرق الصوفية طريق لبث الدعوة الإسلامية.

تعلمالشيخ إسماعيل بن عبدالله القرآن منذ الصغر وحفظه ودرس النحو والتفسير وآخذ يعلم أبناء المسلمين القرآن. فكان رضى الله عنه مشغولاً بالقرآن الكريم وتدريسه والصلاة على النبي (ﷺ)[2].

ولما حضر الشيخ الولي الكامل الشيخ الختم محمد عثمان الميرغني من الأراضي المقدسة في شهر شوال عام ألف ومائتين وواحد وثلاثين هجرية الموافق عام ألف وثمانمائة وواحد وعشرين شهد بكمال الشيخ اسماعيل الولي وأخبر الناس عنه وأمل الشيخ محمد عثمان أن يأخذ الطريقة منه. وكان ذلك، (1231هـ - 1821م) فأخذ الشيخ إسماعيل الولي الطريقة الختمية. فحقق الشيخ إسماعيل الولي كامل أصولها وفروعها وما احتوته من أذكار وأوراد سراً وجهراً وكان لايقصد منها سوى التعبد لله سبحانه وتعالى. ظل الشيخ إسماعيل الولي في الطريقة الختمية سبعة أشهر[3] وبعد ذلك جاءه الفتح الرباني. فلمع على عقله الكمال وتحدث عن مناعم الله عز وجل.

لكنه كان يكتم أمره عن الخلق، لانه كان يظن أن هذا لايحدث إلا للأنبياء. وعندما كان يظن أن هذه مرتبة الأولياء حكى لشيخه ما يحصل له فشهد له بكامله وحث الناس لأخذ الطريقة منه، وأمره أن يظهر له مايطمئن به قلوبهم من السر العجيب. بعدها سافر شيخه إلى الجزيرة ومكث فيها مدة،

1-العهود الوافية، إسماعيل بن عبد الله – ص 1.
2-– مذكرة موجزة عن الطريقة الإسماعيلية، محمد عبدالرحمن المجمر، ص1 .
3-المرجع السابق – ص1 .

ولما عاد وجده قد أوقف الطريقة على أحسن قدم، حيث كثر عدد الناس الذين أخذوا الطريقة منه[1].

بعد ذلك أفاض الله على قلبه من علوم الأسرار وصار من اكابر الرجال، وحصل له الكمال، حيث امره الله ان يظهر الى الخلق فامتثل لامره وظهر لإرشاد الناس ومن ثم أكرمه الله بأكبر الكرامات حتى شاع أمره فألف المؤلفات الكثيرة، وبيت العلوم والأسرار بعد ذلك جاءه الأمر الإلهي بمرافقة الاذن النبوي على أن يبدي طريقة خاصة، وان يسلك بها المريدين إلى حضرة رب العالمين، لكنه توقف عن ذلك تأدباً مع شيخه بالإنفراد بطريقة. واستمر معه الامر الإلهي والإذن النبوي، ولما طال المهال بالتوقف عن ذلك حصل له التوبيخ والعتاب من الحضرتين ظاهراً وباطناً وذلك بكثرة الفتن والأذية بالخصومة، وبعد ذلك جاءه الخطاب بأن ذلك تأديباً له لتأخيره للطريقة، فامتثل لأمر الله ونشر بعض الخواص للأصحاب [2]. وكان ذلك في العشرالأواخر من شهر رمضان عام (1241هـ- 1821م). وبعد ذلك ارتفعت المنحة منه[3]. وعرفت طريقته الجديدة بالطريقة الإسماعيلية فهي تعتبر أول طريقة سودانية. الطريقة الاسماعيلية أعظم اسرار الطرق الموصلة لله تعالى خصوصاً اسرار الستة طرق الآتية (النقشدية، الشاذلية، القادرية، الجندية، الميرغنية, الختمية). نجد الطريقة الإسماعيلية سميت بذلك لأنها مختصة بأسرار استمدادها بالله تعالى من مقام مشربه الخاص المختص به[4]. فالألف والسين من الطريقة إشارة إلى من أخذها يتحقق بأسرار جميع العلوم وأسرار جميع الطرق بوهب من الله تعالى، كما في الطرق الصوفية الستة السابقة حيث النقشبدية سميت بذلك بما يحصل فيها من نفحات، (القادرية) بما يحصل فيها من القرب لبلوغ الولاية الكبرى. (الشاذلية) بما يحصل فيها من شرب المعاني والشهود الإلهي(الجنيدية) بما يحصل فيها من الجذب الإلهي، (الميرغنية)

1-العهود الوافية، إسماعيل بن عبدالله.
2– مذكرة مؤجزة عن الطريقة الاسماعيلية – ص1 .
3- العهود الوافية.
4-مذكرة مؤجزة عن الطريقة الاسماعيلية – ص1 .

بما يحصل فيها من الإمدادات الموصلة إلى أكبر المقامات، (الخصوصية) بما يحصل فيها العبد لبلوغ مقام الخواص[1]. وهكذا كان تأسيس الطريقة الإسماعلية.

مؤلفاته:

الشيخ إسماعيل الولي بن عبدالله يعتبر أديب بارع له الكثير من المؤلفات التي تتمثل في دواوين، ورسائل، واذكار، وأوراد.

القيام) له كان عام 1237هـ، وهو كتاب (جزيل الإلتباس في بعض عين التسليم لهؤلاء الناس)، ثم كتاب (الواردات اللدنية في لعب العارفين بالدنيا الدنية)، وكتاب (الصراط المستقيم في حضرة العلي العظيم)، وكتاب (منية الطلاب في تفسير قولهم علي حجاب)، وكتاب (تحذير السالكين في أكل الدنيا بالدين)، وكتاب (قوله الحق في النهي عن مخافة الخلق)، وكتاب (غزير المدام في لقطة من توحيد الأقدام)، وكتاب (سراج الظلام في فوائد القيام)، وكتاب (تبين الحقيقة في الاجتماع على طعام العقيقة)[2]، ومن مؤلفاته (الجواهر الزكية في مدح خير البرية) التي يقول فيها مادحاً الرسول (ﷺ) [3]:

نسب ما عراه عقد سفاح نسب دون عقد
نظمت فيه أنجم الدر والياقوت من حسن نسبه
أحمد الخلق أكرم الرسل محمود السجايا فيه

وفي الجواهر الزكية –أيضاً- تحدث عن مولد الرسول (ﷺ) وما صاحبه من إرهاصات فقال في ذلك[4]:

مولد المصطفى بمكة حيث استنبعت من ينبوعها النعماء
في ربيع بدأ ربيع به استزهر من زهر ربعه

1-المرجع نفسه:
2-دار الوثائق القومية / متنوعات و 3941/288/1 .
3- الجواهر الزكية في مدح خير البرية، إسماعيل بن عبدالله – شركة الطباعة والنشر –ص3 .
4-المرجع السابق ص7 .

شاخصاً ينظر السماء وفي ذلك للسائلين ثم دعاء
عام فيل به توجهن الكعبة قوم يروا وهم سفهاء

وفي سنة 1231هـ ألف كتاب (الأرجوزة) المسماة (بالفريدة المنظومة في مسائل العقيدة)، وكتاب توسله المسمى ((الجواهر الفاخرة في قضاء حوائج الدنيا بالآخرة)، وشرح (الفيوضات الزاخرة في حل ألفاظ الجواهر الفاخرة)، وكتاب (اللمع البادي عن كشف حقيقة الختم والإمام الهادي)، وألف (خير النظم في معرفة سيدي الإمام المهدي والختم).

أما الرسائل التي كتبها الشيخ إسماعيل الولي فمنها (مدح سادتنا القوم يصل السالك بها ذروة الروم)، و(البيان الكامل في معرفة الكوكب الفاضل الإمام المهدي)، ورسالته (تحفة الأعيان في حل سلة الأخوان والسند الإجازة الكبرى في الطريقة الإسماعيلية)، وفي عام 1240هـ ألف مولده المسمى (الواردات الملتمسة في الحضرة المقدسة)، و رسالة (جزيل الأشكال في حل عقائد الآمال)، و رسالة (منقذة العقلاء في تأخير الصدقة للمبيت والدعاء)[1]. وفي عام 1242هـألف كتاب (رحمة الوهاب في تهذيب الأحباب)، وكتاب (وصية المحبين في ضرر الئاسة للسالكين)، وفي عام 1254هـ ألف الرسالة المسماة (الكوكب الشاعل في تبغيط القاض عن دنياه البليد الغافل)،وكتاب (السهم الخراق لمن اعترض أحوال أولياء الملك الخلاق)، و في هذا الكتاب تحدث مدافعاً عن أولياء الله الصالحين. وفي عام 1257هـ حج بيت الله الحرام، وزار قبر الرسول (ﷺ)، وألف عدة أدعية وصلوات في أثناء الطريق. وكان قبل توجهه إلى الحرمين خلف ابنه السيد محمد المكي ووصاه على أولاده وأمواله في حياته وبعد مماته. وجعل خليفة في الطريقة الإسماعيلية[2]. وبعد رجوعه من الحج ظل عاكفاً لايخرج إلا للجمعة، وترك ابنه خليفة عنه.ومن مؤلفاته (مشارق شموس الأنوار

1-دار الوثائق القومية / متنوعات و 3941/288/1 .
2-دار الوثائق القومية / متنوعات و 3941/288/1.

ومضارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار) فهو كتاب مبني على الكتاب والسنة والقول الصواب حيث قال[1]:

سلكنا مسالك أهل الفلاح إلى أن وصلنا مقام
وخضنا بحار العلوم بسط حلها الغير تاه
فمن مثلنا في الورى ومن مثلنا عاقل استراح

وأخيراً من مؤلفاته كتاب (جامع الشطحات) وهو المعني بالدراسة في هذه الورقة.

وفاته:

توفي الشيخ إسماعيل الولي في يوم الأحد الموافق 16 رجب,1860م وعمره 73 سنة.

النزعة الصوفية في ديوان جامع الشحطات[1]

ديوان جامع الشحطات من مؤلفات الشيخ الجليل إسماعيل بن عبدالله، وهو ديوان صغير الحجم، ويكاد يكون معظمه أو جله في شعر الشطح، وفي الأبيات في مدح النبي(ﷺ) وبعض أبيات في النصح والإرشاد، وغالباً ما يمزج ذلك بالشطح، ثم تحدث فيه عن النعم التي وهبها الله له، ويشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم التي أنعم عليه بها, ويبالغ في ذلك.

إن التحدث عن النعم ليس عيبًا ولا حرامًا لأن المؤلف سائر على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى،11] وللشيخ إسماعيل فخر في ذلك ومنه قوله:[2]

أيا من تروم العز من كل جهة هلم إلى نحوي وقم نحو

1-مشارق شموس الأنوار ومضارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار،إسماعيل بن عبدالله ،ص256

2-ديوان جامع الشطحات، ص3 .

أنا قطب أهل الله شيخ زمانه أنا غوث أهل هذا الوقت نور
أنا كعبة الأسرار من قد تطوف جميع أولي العرفان أهل
أنا صاحب الحضرات باب لكل من يروم دخولاً في حمى كل
أنا العلم المحبوب عند الإله، بل وعند رسول الله كنزي

في الأبيات السابقة يوصي الشيخ من يرغب في العز والسمو أن يقبل إليه, ثم يذكر عدداً من الصفات واصفاً بها نفسه ومفتخرًا كما نلاحظ فهو (قطب، شيخ زمانه، غوث أهل الأرض،ونور الطريقة ، كعبة الأسرار، صاحب الحضرة، المحبوب عند الإله وعند رسول الله)، وقطب مصطلح يمثل درجة من درجات التصوف، ولعل استخدام مثل هذه العبارات يكثر عند شعراء الصوفية خاصة في حال الشطح الصوفي، أو الفخر الصوفي كما يسميه الدكتور عبد المجيد عابدين لأن الشيخ كما يرى دكتور عابدين محور الجماعة ومركز الأتباع ، يعتمدون عليه في التماس سبيل الهداية ، يتجه الشيخ الشاعر إلى الفخر بنفسه وبطريقته، ذلك أن الشيخ كان يرى لزاماً عليه أن يبين لهؤلاء الأتباع مقامه عند ربه، ومقام السالك من شيخه، فعبر شعراؤهم عن إيمانهم بأنفسهم وبما نالوه من المقامات عند ربهم في العظات والتعاليم حيناً وفي الشطح حيناً آخر[1]. ونلاحظ أن الشاعر أكثر من استخدام الضمير(أنا) ولذلك دلالته في تأكيد المعنى في الفخر أو الشطح الصوفي.

وشعر الشطح يكثر عند شعراء الصوفية فلننظر مثلاً إلى قول الشيخ الهميم مخاطباً القاضي دشين في القصة التي ذكرها صاحب كتاب الطبقات محمد النور ضيف الله:[2]

1- تاريخ الثقافة العربية في السودان، ن منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين. الاجتماع. التاريخ، عبد المجيد عابدين، دار المصورات، 2019م، ص208-209

2) كتاب الطبقات، في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، للفقيه العالم محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي، الدار السودانية للكتب، ن الخرطوم، الطبعة الثالثة،1433هـ/2012م، ص195

فإن كنت يا قاضي قرأت فلم تدر يا قاضي رموز
فمذهبكم نصلح به بعض ومذهبنا يعجم عليكم إذا قلنا
قطعنا البحار الزاخرات فلم يدر الفقهاء أين توجهنا
حللنا بواد عندنا اسمه الغضا فضاق بنا الوادي ونحن ما
حللنا بقرب القاب روحاً من عرجنا شموساً أخجلت شمس
ألحنا على العرش والكرسي ولوحها لبسنا ثياب النور

الأبيات أعلاه نموذج لشعر الشطح الذي يكثر عند شعراء المتصوفة قالها الشيخ الهميم محمد عبد الصادق مخاطباً فيها القاضي دشين المعروف بقاضي العدالة، ويظهر على الأبيات الصراع الكبير بين أهل الشريعة، وأهل الحقيقة، بين أهل الظاهر وأهل الباطن.

ولايخفى علينا ما بأبيات الشيخ إسماعيل الولي من صور بيانية إذ نلاحظ في البيت الثالث تشبيه، حيث شبه نفسه بكعبة الأسرار يطوف بها الأولياء العارفين فهو علم محبوب عند الله ورسوله كنزه ونصره.

ومن باب تحدثه عن النعم وفخره بها، ذكر أن لكل الأولياء مكانة عند الله سبحانه وتعالى لكنه تفوق عليهم لأن مكانته أعلى وأسمى منهم، وفيها يبدو الفخر بصورة واضحة كما نرى في الأبيات التالية[1]:

ولكل عند العالمين مكانة ولكن أعلاهم وأسمى مكانتي
أنا طلسم لم يدرك الناس بمعرفة من سر سري
وألبسني مولاي حلة قهره وأيدني دنيا وأخرى لصولتي
وخيرني في الكون مهما أشا فلا أحد غيري يفوز بخلعتي
أنا رمز أهل السر قطب فما سكر العشاق إلا بخمرتي

1-جامع الشحطات، ص4 .

ويظهر من خلال الأبيات الفخر الصوفي ذو الألفاظ الصوفية الخالصة عنده فلننظر إلى ألفاظ وعبارات (طلسم، سري، وألبسني، رمز أهل السر، قطب مدارهم)، والطلسم هي خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وتجمع الكلمة على طلاسم، ولعل الشيخ يريد أن يوضح للمريدين والأتباع أنه وصل لهذه المكانة، ونلاحظ كذلك استخدامه لعبارات المتصوفة (سكرالعشاق، خمرتي) و -أيضاً- يستخدم الشاعر الشيخ الضمير(أنا) في مقام الفخر وحضور الذات في النص، فالشاعر يبين أن مكانته تفوق مكانة من سواه علوًا وقدرًا، وأنه رمز لا يفقه كنهه إلا شخص عالم وملم بعلم الرموز ودلالاتها وما تخفيه من أسرار، ويمضي مفتخرًا ومبينًا منزلته أن الله ناصره ومؤيده في دنياه وآخرته، وهذا من أعلى مراتب الفخر، كما أنه يفخر بأنه مستجاب الدعاء، فهو قدوة ومقصد لكل متصوف

وفي الأبيات أثر لشعراء المتصوفة الكبار أمثال الحلاج وابن عربي وابن الفارض، والأخير له القصيدة المشهورة (شربت على ذكر الحبيب مدامة) منها[1]:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها قبل أن يخلق الكرم

ومنها قوله:

وإن خطرت يوماً على أقامت به الأفراح وارتحل
ولو نظر الندمان ختم لأسكرهم من ذلك الختم
ولو نضحوا ثرى قبر لعادت إليه الروح وانتعش

ومن أقواله داعياً من رغب في نيل الكمال بالقبول عليه لأنه قطب الوقت في صحوة دائماً ومتميز وظاهر بين الرجال[(2)]:

1-التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، الدكتور زكي مبارك، المكتبة العصرية والطباعة والنشر،صيدا لبنان، ص41

2-جامع الشطحات،ص:5-6.

ألا يا مبتغي حوز الكمـــال هلم بساحتي نحو المعالي
لأني قطب هذا الوقت فــرد على الغبراء مالي من مثال
ومهما كنت في صحوي إماماً ظاهراً بين الرجال
وإن ترني على صحوي وإني قد أقول ولا أبالي
لكوني ماهراً أعطيت سراً تقاصر عنه أرباب الحجالي

في الأبيات تدل دلالة واضحة على جنوح الشيخ –دائماً- إلى الفخر فلا تخلو أبيات له منه، وهي مثال واضح للنزعة الصوفية في شعره. فهو يفتخر داعيًا كل من أراد الكمال وابتغاه من أجل الوصول إلى الرضا والعشق الإلهي أن يمم ناحيته، ويقف بساحته التي تعينه على ذلك، ويبرر أنه فرد في ذلك لا مثيل له، ويبرز حالته في حضرة الذكر وانغماسه في حلقاته كالإمام وتقديمه وفضله على سائر المأمومين، ولا يقف عند ذلك بل يبين أنه على أعطي سرًا لا يفارقه إن كان في حال الانغماس في الذكر أو غيره، فهو علم في رأسه نار. ولا يخفى علينا ما بالأبيات من شطح وفخر وذلك ظاهر في الألفاظ التي وظفها مثل: (هلم بساحتي، لأني قطب الوقت، تجدني إماماً ظاهراً بين الرجال، لكوني ماهراً أعطيت سراً) وهكذا.

وأيضاً قال إن الله سقاه هذه الأسرار، وتوجه بتاج الملك، وملكه مفاتيح الكنوز، وألبسه ثوبا لأنوار وجعل مكانته عالية حتى الآن[1]:

أنا سر السرور أنا دليل لكل الطالبين بلا محال
سقاني السر محبوبي بكأس وأرواني من الخمر الزلالي
وتوجني بتاج القهر فضلاً وأظهرني بمنٍ وافتضال
وملكني مفاتيح الكنوز وأورثني كمالاً في كمال
وألبسني من الأنوار ثوباً رفيعا سابقاً مازال عالِ

1-المصدر نفسه،ص: 6.

الأبيات السابقة نرى الشاعر الشيخ إسماعيل يواصل الفخر إذ يرى نفسه (سر السرور، دليل الطالبين) لأن الله تعالى قد أنعم عليه بأنـ (سقاه السر، وأرواه من الخمر الزلال، وتوجه بتاج القهر، وملكه مفاتيح الكنوز، وأورثه الكمال وألبسه من الأنوار ثوباً رفيعاً)، والشاعر في أبياته أعلاه يستخدم الاستعارة ليصل بها إلى الصورة التي يريدها حيث شبه الأسرار بالمشروب وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة هي الوسيلة التي يستطيع بها الشاعر أن يعبر بدقة ووضوح أكثر مما يمكن له لو لجأ إلى النسق المنطقي الذي يعتمد على الأسلوب الفني...[1]

ومن أقواله: إنه لم يكتس ملابس قطن ولاصوف بل ملابسه أنوار العز وطعامه ثمار المعاني لا يملأ جوفه بالطعام، هذا يدل على أنه غاص في عالم الروح وترك الدنيا وتبحر في العلم، لكن قومه احتاروا كأنهم لا يعرفون حرفاً من الحروف حيث عبر ذلك شعراً بقوله[(2)]:

وألبس حُـلة أنوار عز	ولم اكتس قط قطناً وصوفا
وأجني ثمار المعاني لأكلي	ولم أملا الجوف من الرغيفا
لأني انتقلت لعالم روحي	وجاوزت عالم جسمي الكثيفا
ولكن تطلسمت فاحتار قومي	وكانوا كمن لا يرون
أقروا جميعاً بأني كنز	وإني حمدت الإله الرؤوفا

في الأبيات السابقة الشيخ إسماعيل الولي متحدثاً، و مستخدماً في ذلك بعض الصور البيانية مثل(ألبس حلة الأنوار، أجني ثمار المعاني وإني كنز) ويبدو واضحاً أن الشاعر افتخر في أبياته ووصل إلى مكانة

1- الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص 55
2-جامع الشطحات، ص،8.

بعيدة في الفخر كما نرى حتى تطلسم واحتار قومه وصاروا كمن لا يرون الحروف، ومن ثم أقروا جميعاً بأنه كنز.

ومن أمثلة الشعر عنده قال[1] :

نحن الأحبة والعشاق لا نحن الذين اصطفانا بارئ
نحن الذين تولى الله خالقنا أُمورنا وحبانا أعظم القسم
نحن الذين يرانا كل ذي كأننا كوكب قد زان في الرهم
نحن الذين نقيل ذا العثار إذا دعا بحبــه كبرق لاح
نحن الهداة إلى سبيل النجاة يشقى جليس لنا فاقصــر ولا
نحن الذين لنا سهم يصاب ذو البغض فينا كسم كان في
نحن الذين أتى القرآن وقد حكى مثله المختــار ذو

متحدثاً في الأبيات أعلاه عن فخره وانتسابه لأهل العلم، ومحبي الله، ومكانتهم عند الله حيث اصطفاهم ووهبهم أعظم الأشياء، وشبه العلماء والصوفيين الذين ينتمي إليهم بالكواكب حيث أداة التشبيه كأن ووجه الشبه الهداية في كل، ثم تحدث عن معجزاتهم حيث ذكر أنهم إذا دعاهم المتعثر أجابوه كلمع البرق. فالذي يسلك طريق العلماء لا يضل ولا يشقى فقد مدحهم الله في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾ [يونس: 62]، وجعل الله لهم أعظم المقامات، ورفعهم أسمى الدرجات كما في قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾ [المجادلة: 11]، كل ذلك من باب الفخر والاعتزاز. والشاعر في الأبيات يتأثر القرآن الكريم كما نرى.

يواصل الشيخ الشاعرإسماعيل الولي فخره الصوفي في الأبيات مستخدماً الضمير (نحن) وفي ذلك دلالته التي لا تخفى ليؤكد المكانة الرفيعة

1-جامع الشحطات، ص:8-9. .

التي حباهم الله بها مستخدماً البيان في ذلك (كأننا كوكب، كـ(سم) كان في الدسم) فقد اصطفاهم الله تعالى وتولى أمورهم، وهم الذين مدحهم القرآن الكريم، والرسول (ﷺ)، ومن هنا كانوا الهداة إلى النجاة، وهم القوم لا يشقى جليسهم.

ومن شواهد شعره :[1]

وإن كنت ذا عز على الغير بقوة حكم العشق هأنت زمانيا
قصرتْ لها عبراً وراضتـــي بحكمها تقلبني مهما تشا لما
فكيف ببعد العامرية ارتضى بهذا وفيها قد جفون سهاديا
حديث في ليلى غريب وحبها تبلى بقلبي حيث صرت أناديا
فلا تعذلوا اسماعيل في حب دعت ليالي هواه شارفات

يفخر الشاعر بأنه وصل في حبه للذات العلية مرحبة العشق الذي تملكه، وهذا العشق قد جعله ساهرًا وهائمًا، ويشير إلى عدم مؤاخذته لما هو فيه حيث أنه مغلوب على ذلك العشق والحب. وكثيراً ما يلجأ شعراء المتصوفة إلى الغزل في شعرهم، ولكنهم يستخدمونه رمزاً لا يرومون من خلاله الغزل المعروف كما عند ابن الفارض والحلاج والبرعي وغيرهم، والشاعر في الأبيات السابقة يطلب من معارفه وألا يعذلوه في حبه لأن حب ليلى تملكه وتملك قلبه، وليلى يكثر استعمالها رمزاً عند شعراء الصوفية حيث يرمزون بها للذات العلية، مثل قول الشيخ عبد الله محمد يونس[2]:

ليـلاي زوري فها هو الليل جنا
فمـــا يبالي إذا ما أدنيته منكك منا

1-جامع الشحطات،ص:11. .
2- ديوان الدر النظيم في مدح النبي العظيم، تأليف الشيخ عبد الله محمد يونس، دار هايل للطباعة والنشر والتغليف، الطبعة الثانية،1994م،ص122

ثم اسكبي الراح إليه كيما تهنى
قولي له : بي تملى واصمي عن الغير

وقال متحدثاً عن القوم أهل الطريق:[1]

ففي التنزيل إن تجدنا أكرم القوم
حديث المصطفى تجد مدحا بلا ذم
فها قولي أنا بحر الشرب والعوم
صلاتي والسلام محمد كعبة الروم
وللأصحاب والآل بلا حصر ولا حسم

يشير الشاعر إلى فخره بنفسه وأصحابه واصفًا ومشبهًا لهم بأنهم أكرم الخلق لقربهم من الذات العلية وحبهم لرسول الله ﷺ، حيث ذكرهم الله في القرآن الكريم، ومدحهم الرسول (ﷺ)، كما مر بنا، ثم يقول هو إسماعيل بحر العلوم والأسرار ويصلي على الرسول (ﷺ) وعلى أصحابه وآله، والتشبيه بالبحر يكثر في الشعر العربي القديم خاصة، وذلك بجامع الكرم والعطاء كما في قول المتنبي متحدثاً عن رسول ملك الروم إلى سيف الدولة[2]:

وأقبل يمشي في البساط فما إلى البحر يسعى أم إلى البدر

وكذلك قول:

هو البحر من حيث النواحي فلجته المعروف والجود

1-جامع الشحطات،ص:13.
2- ديوان المتنبي، للشاعر أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي، الزهراء للإعلام العربي،2004م، 264

ثم ختم الأبيات بالصلاة والسلام هذه عادة عند شعراء المدح والتصوف، فهذا الشيخ عبد الرحيم البرعي يختم مدحة قوله[1]:

ففي التنزيل إن على من أخلاقه
محمدٌ من عليهِ أنزل طه وطس والدخان

وقال الشاعر الشيخ إسماعيل الولي[2] :

أنا القطب الجليل أنا فسري عم وما وهنا
ونوري في الكيان فريد العصر والآن
أربُ القوم بالعجل أوصلهم بلا مهل
لمقصدهم وكل علي أزيل حجاباً ظلمات

هنا تحدث الشيخ الشاعر عن نفسه ومفتخراً قائلاً: بأن سره شاع وعم كل الكون، ونوره لم يضعف، بل صار عالياً وأصبح متفرداً في هذا العصر، ومتميزاً بين الأولياء ومتفرداً كالدرة المتميزة التي تتوسط العقد، يقود القوم، ويبلغهم مقاصدهم في أسرع زمن.

وقال عن الحضرات التي يقيمها الأولياء الصالحون، ويحضرها الرسول (ﷺ) [3] :

أنا الناموس في أزيل الهم والكدرات
وسرى محكم الآيات ونوري نور رحماني
فمن مثلي في القوم حوى للقصد والروم

1-ديوان البرعي، اليماني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص 236 .
2-جامع الشحطات، ص: 14.
3-جامع الشحطات،ص:14.

بسر السر في العوم ببحر إزالة الران

هذا فخر وشطح بعيد المدى فالشاعر يشطح بعيداً كما نرى في الأبيات فهو الناموس أي الوحي في هذه الحضرات يعمل على إزلة الهموم، وذلك عن طريق الأسرار الموجودة في الآيات التي نورها الله سبحانه وتعالى بها، ثم يسأل من الأولياء نال هذه المكانة الرفيعة. فهذه الأسرار التي عرفها تعمل على إزالة الصدأ من القلوب، فعبارات (ناموس، والحضرات، وسري محكم الآيات، ونوري، رحماني، فمن مثلي في القوم ...) تدل دلالة واضحة على النزعة الصوفية في شعر الشيخ إسماعيل الولي.
ومن الشواهد الأخرى التي وردت بديوانه قوله:[1]

حمداً لذي والشكر للعلام
ثُمَّ السلام الهام لحماية الإسلام
بعد الثناء فاسمع من
أقوال ذي لتفوز بالإكرام

حمد الله وشكره على النعم التي أنعم بها عليه , وصلى على النبي (ﷺ) لأنه حامي للاسلام. وبعد ذلك طلب من الناس مفتخرًا الاستماع لهذه الأشعار التي فيها ما فيها من الأسرار التي وهبها الله تعالى له، ولأن المستمع لهذه الأشعار ينال مكانة سامية.

وتحدث الشيخ الجليل عن الرسول الكريم (ﷺ) القدوة الحسنة التي يهتدى بها في كل شيء، فمن سمات الرسول (ﷺ) أنه خاتم الرسل، ومرسل لعامة الناس حيث أخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلولاه عاشوا في جهل وضلال، فهو كالشمس حيث قال:[2]

1- جامع الشطحات،ص:17.
2-المصدر نفسه، ص:19.

وكثيراً ما نرى الشاعر يخلط شعر الفخر بالنصح والإرشاد كما في الأبيات التالية التي يقول فيها:[1]

يا مريد الخير والهناء والبر
أم نحوي نحظى
لازم الأبواب والتم الأعتابا
واحفظ الآدابا في مدى
واعتصم بالرب وانفني في

حيث يفتخر ناصحًا كل طالب خير أنْ يتبع طريقه وييمم نحوه وينتهج نهجه كي يصل لما يريد.

والشيخ إسماعيل صاحب طريقة صوفية هو مؤسسها ومن هنا نراه كثيراً يميل إلى النصح والإرشاد يخلط ذلك بالشطح في نزعة صوفية كما نرى في الأبيات التالية[2] :

خذ بياني واحفظه في جميع
من يحل القفل أو يفرج مزعجات
أو له رمز بديع لا يحله ذو حيات
وأو يسلك تابعيه كلهم سبل النجات
أو يطالع في كل ما تقدم أو سبات
قل سوى في وجود أو
لم أقل هذا افتخاراً بل لأشكر ذا

1)جامع الشطحات، ص:20.
2) المصدر نفسه، ص:23-24.

في الأبيات نرى الشيخ طالباً منهم أن يأخذوا الطريقة منه ويحفظوا أسرارها، لأنه حلال للكرب ومفرج للضيق فهو رمز بديع ينجيهم من المشاكل، فهو يسأل وينفى من غيره يطالع كل ما تقدم وما يأتي إلا هو سواء أكان حياً، أم ميتاً فهو يتحدث عن ذلك ليست افتخاراً، بل شكره لله سبحانه وتعالى.

وتحدث الشيخ عن أحوال المتقين، ومكانتهم عند الله حيث بدأ الحديث عنهم في ديوان الطهر، وظهرت علامات الملك وبشر كل الحاضرين بالمكانة السامية للأولياء فقال[1] :

قد بدأ في في ديوان القدس
مُعْلِناً بالنبس عن حال الأبرار
أظهر الأمارة بيت الإشارة
فات بالبشارة لكل الحضّارة
من أهل أرباب التحقيق

فالشيخ يفتخر بأنه أحد أولئك الأولياء الأبرار الذين يُبشَّرون ويُبشِّرون كل من ينتمي إليهم. ومما نظمه الشيخ إسماعيل من شعر الفخر الصوفي[2] :

ورب الخلائق أنا رمح فاتق
أعين الحقائق من بين الأخيار
أنا كنز مخفي في رموز الحرف
لم أقم في خوف غير رب الباري

1-جامع الشحطات، ص:21.
2- المصدر نفسه،ص:24.

أنا غوث العوم أنا بحر العوم
أنا عين الروم لكل التزوار
من الرجال حاز مثل حال

الأبيات من باب تحدثه بالنعم حيث أقسم مفتخرًا بأنه سهم خراق يصيب به عقول الأخبار ويتعرف على لب حقائقهم. فهذه الصفة منحها الله سبحانه وتعالى له، لكن لم يعرف الناس أمره، وتشبيهه نفسه بالكنز المخفي لأن الناس لم يعرفوا أمره وأيضاً ذكر بأنه بحر للعلوم وكل من أراد أن ينهل من هذا البحر أن يقبل إليه فهو معين للقاصدين والزائرين مستخدما الضمير(أنا) في ذلك للفخر.

وقال الشاعر الشيخ إسماعيل:[1] :

أنا العلم المحبوب عند وعند رسول الله كنزي
أنا من تولاني إلهي وقال عليك أماني أنت سر
فلا أحد من أوليائي له يد عليك يسلب أنت
فإنك مأمون من السلب لا وكل الذي يأوي إليك
من ابن وصحب صادق لبابك والتسليم ثم
وقد قال لي المختار إنك ضمنت لك الدنيا
وبشرني إني قد أكون وأشفع في قوم تمضي

تحدث الشيخ مفتخرًا بأن الله تولاه فلا أحد من الأولياء يستطيع أن يسلبه القوة، فهو مأمون من السلب وكل من يربطه به نسب من أبناء، أو أصحاب ومريديه فهم آمنون, وبشره الرسول (ﷺ) بأن له الدنيا وفي الآخرة يكون في جوار الرسول (ﷺ)، والأبيات نلحظ فيها أثراً من أبيات الشيخ موسى بن يعقوب الفضلي والتي منها قوله[2]:

سلام على قوم إذا ذكر تهتك أستاري إليهم
تلألأت الأنوار من نحو بوقت قيامي أو جلوسي
نظرت إلى المحفوظ في كل تناهيت عنن إظهار حكم
أمر على الآفاق أنظر ما بدا فأخبر هنن تلك النواحي
ورجلنا تسعى في الأرض وفي مرة نطير بسرعة
أنا ابن يعقوب الذي شاع ولكني أكنى في الأنام

1-جامع الشطحات، ص:3.
2- كتاب الطبقات، محمد ضيف الله، ص199

فكلا الشاعرين يشطح ويفتخر بنفسه وبمكانته، والقافية في الأبيات كذلك متشابهة في نزعة صوفية واضحة.

وتحدث أيضًا في فخره بمكانته بين الأولياء حيث شبه الأولياء بالأقمار وشبه نفسه بالشمس، وذكر بأن كل الأولياء على اتصال بالله سبحانه وتعالى. لكن تفوق عليهم في الاتصال، وذكر بأنه بين الأولياء كالفريدة المتميزة التى تتوسط العقد فقال:[1]

فكل الأولياء اقمار هدى ... ولكني كشمس في
وان اعطوا مقامات ... أنا اعطيت أعظمها
فكل منهم نال اتصالاً ... ولكن فاقهم حسن
لم أقم في خوف الآدابا ... غير رب الباري
فمن منهم بدا مثلي يسر ... يرى كفريده بين

ومن شعر الفخر الصوفي عنده[2] :

سلكنا مسالك أهل الفلاح ... إلى أن وصلنا مقام
وخضنا بحار العلوم ... بساحلها الغير تاه
فمن مثلنا في الورى ... ومن مثلنا
فنحن الذين لنا نبوة ... ونحن الذين بلغنا
وفي الحضرتين لنا عزة ... ومن نورنا يستضئ
ورب الورى قد تجلى لنا ... ونعمنا بالهدى
وقد قال قولي لما شئتموا ... فض القول لبس عليكم

1) جامع الشطحات، ص:6.
2) جامع الشحطات، ص:24.

وعن فخره بنفسه والأولياء الصالحين قال: بأنهم سلكوا طريق الحق الذي أوصلهم إلى مكانة عالية، وتبحروا في العلوم وعرفوا أسرارها، ومدح أنفسهم بأنهم لهم نبوة وبلغوا النجاح لهم عزة في الحضرتين فالله سبحانه وتعالى عظمهم ومنهم الهدى, فهو يتحدث عن ذلك لأن الحديث عن النعم لا إثم فيه ولم يغب البيان عن استخدام الشاعر فالاستعارة واضحة في البيت الثاني في قوله(وخضنا بحار العلوم).

وقال كذلك مفتخرًا[1] :

فها أنا إسماعيل أفوه وفي الصيف أروي
بأدمُاع أهل الهيامُ جميعاً وأكسرُ قلباً شديداً
وأبكي بوعظي جهولا وبالبُشر أطرب عبداً
وأذكى صلاتي كذا مع لطهُ وصحب يفوق

هنا يتحدث ذاكراً النعم التي من الله عليه بها حيث ذكر – مفتخرًا – بأنه يفوه بأقواله، ثم الذي يروي الجروف في الصيف، وذلك بدمع المحبين لله. فحديثه ووعظه يعمل على تليين القلب القاسي ويبكي الجاهل ويطرب العبد العطوف ثم يختم بالصلاة والسلام على النبي (ﷺ) وأصحابه، وهذه عادة عند شعراء المديح النبوي فهم غالباً ما يختمون بالصلاة والسلام على النبي (ﷺ).

وقال الشاعر الشيخ إسماعيل الولي مفتخراً وشاطحًا[2]:

فنحن عزنا بالله والشطح الذي ننم
وهذا فخرنا بخير العرب

1- جامع الشطحات،ص:8.
2-المصدر نفسه ،ص:12.

ففي الحضرتين نعود مئات في
أعن المختار لم بيقظات ولا نوم
فلو أقسمت بالله لأسعدت أولى

يظهر في هذه الأبيات فخره وعزه بسيدنا محمد ﷺ وجاهه. ويخاطب إلى من يسأل عن طريق الهدى أن يقصدهم ويرد بحر النداء لكي ينهل من مياهه التي تشفي من الأدواء [1]:

يا سائلاً طرق فأحسن إلينا
ترددت إلى بحر فهناك كل مقام
نسقيك منها بالعلل من بعد شربك
صافي المياه بأنعم ذا الأنعام
تشفي من الأدواء وتفوز بالإعطاء

ولأن الشيخ من الذين وصلوا مكانة كبيرة في العلم والمعرفة فقد أنعم الله عليه بأن جعله يرى مقامات أصحابه في الجنة جميعاً كما في قوله[2] :

ونوديت بالترحيب في كل محفل وصرت إماماً بين كل الخليقة
أنا من أراني الله ربي بفضله مقامات أصحابي جميعاً بجنة
وقد قال لي انظر هل لك الآن له منزل في النار ياذا الهداية
وشاهدتها حلا ولم ألف منزلاً لأصحابنا فيها ويؤت بفرحتي
ممن جاءني بالصدق أقبله وإن به كل وزر لايبوء بخيبة

1) المصدر نفسه، ص:17.
2) المصدر نفسه، ص:23.

يقول مفتخرًا بنفسه أنه المرحب به إمام أتباعه ومريديه، وهو الذي فضله ربه عز وجل على أصحابه بأن أراه مقعده من الجنة، ويمضي مفتخرًا مبشرًا مريديه الذسن يسلكون طريقه بالجنة دارًل ومأوى، وهذا من كراماته ورؤياه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، في خاتمة هذه الدراسة وهي الشيخ إسماعيل الولي شاعراً نرى:

1. مع أن الشيخ كان داعية إلى الله ومؤسس طريقة صوفية هي الطريقة الإسماعلية إلا أنه نظم الشعر واستعان به في نشر الدعوة والإرشاد.
2. غلبت على شعر الشيخ إسماعيل النزعة الصوفية التي يجنح فيها كثيراً إلى الشطح الصوفي أو كما سماه الدكتور عبد المجيد عابدين الفخر الصوفي فهو كما رأينا من النماذج الشعرية.
3. أكثر الشاعر من استخدام المصطلحات المستخدمة عند شعراء التصوف الكبار مما يدل دلالة واضحة على تأثره بهم.

4. اسم ديوان الشاعر (جامع الشطحات)، فهو اسم على مسمى وإن كان ينظم–أحياناً- في شعر الدعوة والإرشاد، ممزوجاً نزعة صوفية، وأحيانا يمدح النبي (ﷺ).
5. معظم قصائد الشاعر عبارة عن مقطوعات شعرية إذ لم يمل الشاعر إلى المطولات ولعله أراد من ذلك أن أسهل وقعاً في نفس المتلقي.
6. يظهر تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
7. تميز شعر الشاعر الشيخ إسماعيل الولي بالسهولة والوضوح.
8. قلت في شعره الصور البيانية والخيال الجامح فالشاعر يريد أن يوصل رسالته بأيسر الطريق.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. تاريخ الثقافة العربية في السودان، ن منذ نشأتها إلى العصر الحديث، الدين. الاجتماع. التاريخ، عبد المجيد عابدين، دار المصورات، 2019م.
3. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، الدكتور زكي مبارك، المكتبة العصرية والطباعة والنشر، صيدا لبنان.
4. الجواهر الزكية في مدح خير البرية، إسماعيل بن عبدالله، شركة كرري للطباعة والنشر.
5. دار الوثائق القومية / متنوعات.
6. الدرر السنية في مدح خير البرية، محمد المكي بن إسماعيل.
7. ديوان البرعي اليماني، المكتبة الثقافية، بيروت.
8. ديوان جامع الشطحات، إسماعيل بن عبدالله الولي .
9. ديوان الدر النظيم في مدح النبي العظيم، تأليف الشيخ عبد الله محمد يونس، دار هايل للطباعة والنشر والتغليف، الطبعة الثانية،1994م.

10. ديوان المتنبي، للشاعر أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي، الزهراء للإعلام العربي،2004م .
11. الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.
12. العقود البرية في مدح خير البرية، ن محمد المكي بن اسماعيل.
13. العهود الوافية، إسماعيل بن عبدالله الولي .
14. كتاب الطبقات، في خصوص الأولياء والصالحينن والعلماء والشعراء في السودان، للفقيه العالم محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي، الدار السودانية للكتب، ن الخرطوم، الطبعة الثالثة،1433هـ/2012م.
15. مذكرة موجزة عن الطريقة الإسماعيلية، محمد عبد الرحمن المجمر.
16. مشارق شموس الأنوار ومغارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار، إسماعيل بن عبدالله الولي.
17. منحة الوهاب في مدح جناب النبي الأواب، السيد مصطفى البكري بن إسماعيل الولي.
18. موسوعة أهل الذكر بالسودان، المجلس القومي للذكر والذاكرين، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم، الطبعةالأولى،1425هـ/2004م.